



## التعايش المجتمعي السلمي في مدينة بغداد

خلال مدة الاحتلال البريطاني 1917-1920

((peaceful coexistence in Baghdad during the British occupation 1917\_1920))

الأستاذ الدكتور حازم مجيد احمد الدوري

العراق - جامعة سامراء / كلية التربية / قسم التاريخ

### ملخص البحث

دخلت القوات البريطانية بغداد في 11 آذار 1917، وأعلنوا أنهم محررين لا فاتحين وعلق العراقيون آمالا على ادعائهم، إلا ان تلك الآمال تبددت بعد ان احكم البريطانيون قبضتهم على العراق واستعمروه. وأهم البريطانيون اليهود والمسيحيين العراقيين بأن المسلمين ساعين الى اقامة دولة اسلامية محمية تعمل على اخراجهم وطردهم من العراق، لذا اوجدوا شرخا اجتماعيا بين مكونات بغداد الأساسية، ليس ذلك فحسب بل ان البريطانيين عملوا على تمزيق النسيج الاجتماعي العراقي عامة والبغدادي خاصة، وذلك عند اعلانهم بأنهم عازمون على اجراء استفتاء للشعب العراقي في نوعية الحكم ورغبتهم فيمن يحكم العراق.

أملاً في ان يصوت الشعب للحكم البريطاني المباشر ولتحقيق ذلك عملوا على تقسيم المجتمع الى اثنيات وطوائف ومذاهب فطلبوا من السنة ترشيح خمسة وعشرون مندوباً ومن الشيعة خمسة وعشرون مندوباً ومن اليهود خمسة عشر ومن المسيحيين عشرة مندوبين. فكانت المفاجئة التي أذهلت المستعمرين، وهي ان الشيعة والسنة قدم مندوبيهما نتيجة استفتاءهم تحت مسمى واحد (نحن بنو الاسلام من سنة وشيعة) وحدد المسلمون موقفهم من الاحتلال ونظام الحكم، اما اليهود والمسيحيين فقد تأثروا بالدعاية الاستعمارية وأيدوهم.

هنا جاء دور الحركة الوطنية في سعيها الى لم الشمل وتوحيد صفوف المجتمع البغدادي، اذ لاحظوا بأن المسيحيين لم يخرجوا كعادتهم سنويا الى الشوارع محتفلين بعيدهم (عيد الجسد) وكذلك اليهود فأرسلوا إليهم مستفسرين عن السبب فقالوا لهم بأن البريطانيين خوفهم من المسلمين ان هم خرجوا محتفلين سيهجم عليهم المسلمون، فطمأنوهم وخرجوا محتفلين الى الشوارع والمسلمين ينثرون الورود ويمهلون ويرحبون بهم. هكذا عادت اللحمة الوطنية في المجتمع البغدادي والتي اثرت ايجاباً في توحيد المجتمع العراقي، هذا فضلاً عن ما قام به المسلمون من الشيعة والسنة بإقامة الاحتفال الديني المشترك بينهم (المولد - التعزية) وخلصته ان يبدأ السنة بالمولد النبوي ومدح الرسول محمد ﷺ على طريقة اهل السنة ثم يباشر في قراءة التعزية على سيد شباب اهل الجنة الحسين بن علي عليه السلام على طريقة الشيعة وتخللها الكثير من الاحاديث الودية، ذلك ما صدم المستعمر في حالة لم يشهد مثلها العراق سابقاً على حد وصفهم.



تلك المشتركات الكثيرة التي جمعت بين البغداديين على مر العصور هي التي وحدت صفوفهم، هذا فضلا عن الوعي المجتمعي البغدادي بضرورات الوحدة الوطنية.

الكلمات المفتاحية: التعايش السلمي، الاحتلال البريطاني، الوحدة الوطنية، الشعب العراقي.

### Abstract

British forces entered Baghdad on March 11, 1917, and declared that they were liberators, not conquerors, and the Iraqis pinned hopes on their claim. However, those hopes were dashed after the British tightened their grip on Iraq and colonized it.

The British deluded the Jews and the Iraqi Christians that the Muslims sought to establish an Islamic Muhammadiyah state that would work to expel them and expel them from Iraq, so they created a social rift between the basic components of Baghdad. Not only that, but that the British worked to tear apart the Iraqi social fabric in general and al-Baghdadi in particular, when they declared that they were determined. On holding a referendum for the Iraqi people on the quality of government and their desire to govern Iraq

Hoping that the people would vote for direct British rule, and to achieve that, they worked to divide society into ethnicities, sects, and sects, so they asked the Sunnis to nominate twenty-five delegates, twenty-five Shi'ites, fifteen of the Jews, and ten Christians.

The surprise that astonished the colonialists was that the Shiites and Sunnis presented their delegates as a result of their referendum under one name (We are the sons of Islam from Sunnis and Shiites) and the Muslims determined their position on the occupation and the regime, while the Jews and Christians were affected by the colonial propaganda and supported them.

Here came the role of the national movement in its quest for reunification and unification of the ranks of the Baghdadi society, as they noticed that the Christians did not go out annually to the streets celebrating their feast (Feast of the Flesh) as well as the Jews. The Muslims reassured them and went out celebrating to the streets, and the Muslims scattered roses, cheered and welcomed them.

This is how the national cohesion in Al-Baghdadi society returned, which positively affected the unification of Iraqi society. This is in addition to what the Shiite and Sunni Muslims did

By holding a joint religious celebration between them (the birth - condolence) and its conclusion is that the Sunnis begin with the birth of the Prophet and praise the Messenger Muhammad, may God bless him and grant him peace, in the manner of the Sunnis, then begin to read condolences to the master of the youth of the people of Paradise, Hussein bin Ali, peace be upon him, in the manner of the Shiites and interspersed with many friendly conversations That was what shocked the colonialists in a situation similar to which Iraq had not previously witnessed, as described by them.



Those many common points that have brought together the Baghdadi throughout the ages are what united their ranks, in addition to the Baghdadi societal awareness of the necessities of national unity.

**Keywords:** peaceful coexistence; Baghdad; British occupation; National unity; The Iraqi people

#### المقدمة:

التكوين البنيوي للتركيبة الاجتماعية للمجتمع البغدادي تركيبة متنوعة ومختلفة من حيث الدين والعرق، منذ تأسيس بغداد عام 145هـ/762 م، إذ تعايش المسلم والمسيحي واليهودي وغيرهم بسلام ووثام على مر العصور، وعلى الرغم من الإحتلالات الأجنبية العديدة لبغداد بقي المجتمع البغدادي مجتمعاً متماسكاً مستنداً إلى الإرث الحضاري، الذي قام على أساس روح التسامح بين الطوائف والملل والمذاهب.

إحتل البريطانيون في تاريخنا الحديث بغداد عام 1917م واستمرت قواتهم في التقدم شمالاً إلى أن اكتملت احتلال العراق عام 1918م، وطردت القوات العثمانية التي كانت تسيطر على العراق قرابة أربع قرون. استخدم الاستعمار البريطاني سياسة فرق تسد ونجح جزئياً فيها واستمال قسم من الطوائف في بغداد إلى جانبه، إلا أن البغداديين ونتيجة للعمق التاريخي في التعايش المجتمعي السلمي استطاعوا من إعادة اللحمة الوطنية وتوحيد كلمتهم وهدفهم في استقلال العراق.

اشكالية البحث قائمة على أساس نجاح القوات البريطانية في استمالة قسم أجزء من الشعب العراقي في مطالبهم بالحكم العسكري البريطاني المباشر للعراق.

ومن فرضيات البحث عمل القوى الوطنية العراقية على رأب الصدع بين مكونات المجتمع البغدادي، الذي أحدثته السياسة البريطانية وذلك بإجراء اتصالات مكثفة مع الجميع للحوار في إيجاد أرضية مشتركة للتعايش السلمي بين جميع المكونات، وهذا ما يسعى بحثنا لتحقيقه في تنوير المجتمع البغدادي خاصة والعراقي عامة في أهمية التعايش السلمي في المجتمع ومن خلاله أهمية الوحدة الوطنية.

أما المنهج المستخدم فهو المنهج الوصفي التحليلي.

قسم البحث إلى ثلاث محاور:-

المحور الأول: التكوين الاجتماعي لمدينة بغداد وبعض الإحصائيات.

المحور الثاني: السياسة البريطانية تجاه البغداديين (سياسة فرق تسد).

المحور الثالث: دور القوى السياسية أو الحركة الوطنية في إعادة اللحمة المجتمعية البغدادية.



## أولاً: التكوين الاجتماعي لمدينة بغداد

### 2.1 التكوين الإثني او العرقي لمدينة بغداد

من أهم أسماء مدينة بغداد ، التي اشتهرت به (( دار السلام)) والمدينة التي تحمل هذا الاسم إنما قامت على تراكمات حضارية مدنية عبر عصور التاريخ وبنيت على أساس قوي وقويم ، وهو التسامح وقبول الآخر فعلى الرغم من بناء مدينة بغداد جاء نتيجة حاجة ملحة لخلفاء بني العباس بإيجاد عاصمة اعتبارية لدولتهم ، وإن نظام الحكم نظاماً ثيوقراطياً مستنداً إلى الدين ، أقول على الرغم من ذلك فأن بغداد ضمت أجناس متباينة وأصحاب أديان مختلفة متعددة ، ذلك بحكم العمل والعيش المشترك ، إذ وجد فيها العرب والترك والکرد والفرس والآشوريين والأرمن والكلدان واليهود والصابئة واليزيديين.

وأن غالبية أهل بغداد منذ نشؤها ولحد الآن هم مسلمون ، ومن مبادئ الدين الإسلامي الاعتراف بالديانات السماوية الاخرى ، إذ قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم (( امن الرسول بما أنزل إليه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير))<sup>(26)</sup> صدق الله العظيم. هذا مما أعطى المسلم حرية التعامل والبيع والشراء والزواج والأكل والشرب مع أهل الكتاب من اليهود والمسيح والصابئة وغيرهم.

فقام المجتمع البغدادي ونشأ على مبادئ الدين الإسلامي التي توصي بالتعايش مع الآخرين على أسس مجتمعية قائمة على الاحترام والمحبة والألفة والتواد وعدم الإساءة للآخرين والتعاون على البر والتقوى وعدم التعاون على الإثم والعدوان، وحفظ حقوق الجار وإقامة علاقات إنسانية واسعة.

ونظرة سريعة على التكوين الإثني لمدينة بغداد عام 1885م والاطلاع على بعض الاحصائيات .

بلغ عدد سكان مدينة بغداد 89491 ألف وكان توزيعهم الآتي:

مسلمون: 75328

يهود: 14163

وفي عام 1893 بلغ عدد سكان مدينة بغداد (149941) نسمة .

مسلمون: (134459) نسمة

يهود : (13628) نسمة

مسيح : (1800) نسمة

وفي عام 1895 بلغ عدد سكان بغداد (175440) نسمة

مسلمون: (160388) نسمة

يهود : (13388) نسمة

(26) سورة البقرة ، الآية 285.



وما تبقى من المسيح تقريباً (1600) نسمة

وقسمت أيضاً إلى أُنثى مسلمات (49659) وإناث يهوديات (2492) وما تبقى من الديانة المسيحية<sup>(27)</sup>.

وفي بداية القرن العشرين كانت الإحصائية الآتي عام 1900م:

بلغ عدد سكان بغداد (182823) نسمة

المسلمون: (168111) نسمة

اليهود: (14887) نسمة<sup>(28)</sup>

ومن الملاحظ على الإحصائية إن أعداد اليهود كانت أكثر من أصحاب الديانة المسيحية بكثير ، وانهم زاولوا طقوسهم الدينية ومارسوا شعائهم بكل حرية ، هذا فضلاً عن أعمالهم الاقتصادية المميزة في التجارة ، وكان لهم حضوراً واضحاً ، إن لم يكن مسيطراً على أسواق بغداد ، وكانت نسبة اليهود 6,3% من سكان ولاية بغداد<sup>(29)</sup>.

وأتجه اليهود إلى الهيمنة على الشؤون الصيرفية والتجارية ، وبذلك أصبحت أغلبية مناصب غرفة تجارة بغداد بأيديهم عام 1911 ، واشتهرت العديد من العوائل اليهودية بثرائها الكبير مثل عائلة ساسون حسقيل والتي أطلق عليها أسم (روتشيلد الشرق) وكان لها وكلاء في كل من مانجستر وباريس وبومبي<sup>(30)</sup>.

وأن المسلمين والمسيحيين لا يستطيعون منافسة اليهود في أمور التجارة والمال ، وكان اليهود والمسيحيين يتمتعون باستقلالية تامة في جميع الأمور تقريباً ولا سيما في الشؤون الشخصية والمالية<sup>(31)</sup>.

وعليه فإن الأقليات الأثنية أو الدينية عاشت في بغداد وزاولت مختلف المهن وتجاوروا مع البغداديين الموجددين في محلاتهم السكنية ومحلاتهم التجارية، ولم يحدث أن وقعت صدامات بين البغداديين بسبب العرق أو الدين.

## 2.2 السياسة البريطانية في العراق

دخلت الحكومة العثمانية الحرب العالمية الأولى في تشرين الثاني 1914م إلى جانب دول المحور مع حليفها، وأصبحت بالجهة المعادية للقوات البريطانية التي لم تنتظر طويلاً وأرسلت قسم من جيوشها المحتشدة لهذا الغرض مسبقاً للسيطرة على العراق، واستمرت الحرب أربعة سنوات في العراق ولم يستطع البريطانيون فرض سيطرتهم على

(27) بغداد ولاية جلييلة سنة مخصوص سالنامه در ، 1318هـ وقفة 16 ، بغداد ولايت مطبعة سي ، 1318، ص331

(28) المصدر نفسه.

(29) الالوسي، محمد شكري، (2013)، اخبار بغداد وما جاورها من البلاد، بغداد، دار الكتب العلمية، ص210.

(30) لونكرليك، ستيفن همسلي، (1988)، العراق الحديث من سنة 1900 إلى سنة 1950 ، بغداد ترجمة سليم طه التكريتي ، ج1، ص31-32.

(31) بطاطو، حنا ، (2005)، العراق – الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية في العهد العثماني حتى قيام الجمهورية، طهران ، ترجمة عفيف الرزاز ، الكتاب الأول ، المكتبة الوطنية الإيرانية ، ص38 و281.



كامل الأراضي العراقية خلال مدة الحرب 1914-1918، وأخيراً احتلوا مدينة الموصل بعد انعقاد الهدنة بين الدولة العثمانية والبريطانيين في تشرين الثاني 1918<sup>(32)</sup>.

أما مدينة بغداد فقد أحتلت في 11 آذار 1917 بعد معارك ضارية مع القوات العثمانية تخللها الكر والفر بين الفريقين.

علق العراقيون آمالاً على الوعود البريطانية في تحرير العراق من السيطرة العثمانية وكان أملهم بأن بريطانية ستساعدهم في إيجاد حكم وطني في العراق ، لا سيما الضباط العراقيون الموجودين في سورية والحجاز<sup>(33)</sup>. إلا ان تلك الآمال تبذرت وضاعت أحلام العراقيين في أقامت حكم وطني، لأن البريطانيين فرضوا الحكم العسكري المباشر على العراقيين فشعر العراقيون انهم استبدلوا مستعمر قديم بأخر جديد أكثر فتكاً وأكثر طمعاً وأشد قسوةً من الذي قبله<sup>(34)</sup>.

أستخدم البريطانيون سياسة فرق تسد بين السكان ، إذ تقربوا إلى المسيحيين بحجة الدين الواحد معهم وأنهم يحملون ذات المعتقد كذلك بالنسبة لليهود وتقربوا منهم واعتمدوا عليهم بكثير من الأعمال، وفي الوقت نفسه خوفوهم من المسلمين بذريعة أن المسلمين يسعون إلى إقامة دولة محمدية إسلامية ، وستعمل هذه الدولة على طرد اليهود والمسيحيين من العراق<sup>(35)</sup>.

ذلك مما دفعهم إلى تنظيم مضبطة طالبوا فيها سراً بإقامة حكم بريطاني مباشر للعراق ، ليس ذلك فحسب بل عمل البريطانيون إلى شق وحدة صف المسلمين بأن قسماً منهم أيضاً قدموا طلبات راموا فيها إقامة حكم بريطاني مباشر للعراق<sup>(36)</sup>.

جاء ذلك عندما طلبت السلطات البريطانية من ممثلي السنة عبد الرحمن النقيب والشيعية الشيخ شكر الله أن يهيئوا كل من طائفته (25) خمس وعشرون مندوباً، ومن ممثلي اليهود (20) مندوباً ومن الطوائف المسيحية (10) مندوباً<sup>(37)</sup>.

(32) الأدهمي، محمد مظفر ، (2009) ، العراق – تأسيس النظام الملكي وتجربته البرلمانية تحت الانتداب البريطاني 1920-1932، بغداد، مكتبة الذاكرة ، ص39.

(33) الدوري ، حازم مجيد أحمد ، (2011) ، الحراك السياسي للضباط العراقيين في سورية 1918-1920 ، مجلة الأستاذ ، مجلة كلية التربية (ابن رشد) جامعة بغداد ، العدد (177) ، ص237.

(34) العدول ، جاسم محمد حسن وآخرون، (2005) تاريخ الوطن العربي المعاصر ، العراق ، ص50.

(35) الوردى، علي ، (1977) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، بغداد ، ج5، ق1 ، ص84.

(36) المصدر نفسه ، ص84.

(37) الحسني، عبد الرزاق ، (1982) ، الثورة العراقية الكبرى، بيروت، ط5، ص26.



إن ذلك الأجراء اتخذته السلطات البريطانية كان هدفه تمزيق النسيج الاجتماعي العراقي وضرب الوحدة الوطنية العراقية بتقسيمه إلى اثنيات وطوائف مختلفة الاتجاهات ومتعددة الأهداف ليبقى الجميع ضعفاء مشتتين لا جامع بينهما.

جاء طلب البريطانيون بإجراء استفتاء صوري لمدنويين عن فئات وطوائف المجتمع العراقي حول نوع الحكم ، الذي يرغب به العراقيين ومن يفضلون ان يحمهم ، وذلك سعياً لتثبيت الحكم البريطاني العسكري المباشر على العراق . وعندما أجمع الحاكم العسكري البريطاني لمدينة بغداد – بلفور – بجميع المدنويين من أهالي بغداد ، استهل كلمته بأن العراق وعلى مر العصور خضع للاحتلالات الأجنبية من المغول عام 1258م والاحتلالات الأخرى من فرس وترك وغيرهم ليصل إلى نتيجة أعلنها وبدون حياء، إن العراقيين غير مؤهلين لحكم أنفسهم وأنهم تعودوا على الحكم الأجنبي ، لذا فعليهم أن يختاروا البريطانيون ليحكموهم حتى يتعلمون أصول الحكم وقوانينه<sup>(38)</sup> .

أراد الحاكم العسكري البريطاني لبغداد بلفور من كلمته القول وبصيغة إذلاليه بأنكم عبيد لأسيادكم وما عليكم إلا أن تطلبوا أن نحكمكم بصورة مباشرة لنقل تلك الصورة إلى العالم المتمدن ، ليقولوا لهم بأننا استخدمنا الأسلوب الديمقراطي في الحكم ويخفون وجههم القبيح والحقيقي في استبعاد الشعوب.

مهما يكن من أمر فإن القاضيين السني والشيعي وممثلوهم شرعوا بدعوة الشخصيات البارزة في الطائفتين لعقد اجتماع كل على حد لامتياز المدنويين بدلاً من القاضيين ، وفعلاً تم اختيار خمسة وعشرون شخصاً لكل طائفة.

### 3 : دور الحركة الوطنية العراقية في وحدة المجتمع البغدادي .

#### 1.3 وحدة بني الاسلام

جاء دور الحركة الوطنية العراقية ، والتي تمثلت بجمعية العهد العراقية تأسست عام 1918 في دمشق وأرسلت الجمعية السيدين عبد الغفور البدري وعبد الله موفق الألوسي للعراق لتأسيس فرع للجمعية في بغداد ولغايات أخرى منها توضيح الوضع العام في سوريا وأرسال رسالة من جعفر العسكري إلى العلامة ميرزا محمد تقي في كربلاء يطلب منه حث العراقيين للعمل على نيل الاستقلال<sup>(39)</sup> .

وبالفعل أستطاع البدري والألوسي من تأسيس فرع لجمعية العهد في بغداد ، فكان من ضمن الهيئة الإدارية كل من أحمد عزت الأعظمي وحسن رضا وبهاء الدين سعيد النقشبندي وامين زكي وقاسم العلوي وغيرهم<sup>(40)</sup> .

ومثلت جمعية حرس الاستقلال الحركة الوطنية أيضاً ، والتي تأسست عام 1919 ومن أعضائها جلال بابان ، سعيد حقي ، عبد المجيد يوسف ، محمود رامز والحاج معي الدين السهروردي وغيرهم ، وأن تشكيلها جاء على أثر انقسام

(38) البازركان ، علي ، (1954) الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية ، بغداد ، ص67.

(39) العمري ، محمد طاهر ، (1924) مقدرات العراق السياسية ، بغداد ، ج3، ص8 ؛ البصير ، محمد مهدي ، تأريخ القضية العراقية ، ج1، ص111.

(40) الحسني ، عبد الرزاق ، المصدر السابق، ص51.



جمعية العهد على نفسها وقيام السلطات البريطانية بالقبض على البعض من أعضائها ونفهم إلى الإستانة فتكتل الأهالي وأعلنوا تشكيل جمعية حرس الاستقلال<sup>(41)</sup>.

مهما يكن من أمر فقد هيمنت الحركة الوطنية على المندوبين واشترطت التقيد بإدارة الاجتماع العام والمطالبة بحكومة عربية متحررة من أي حماية أو وصاية أجنبية<sup>(42)</sup>.

وعند بدء الاجتماعات مع المندوبين حدد المجتمعون للمندوبين المبادئ الآتية<sup>(43)</sup>:

- إن العراق من شمال الموصل إلى الخليج أهل تماماً لحكم نفسه.
- يطالب العراقيون بحكومة عربية خالصة.
- إن أعظم نصير ومجاهد لأجل الكرامة العربية هو الشريف حسين، لذلك ينبغي ان يكون أحد أنجاله أميراً على العراق.

وفي الاجتماعات التمهيدية ، عقد اجتماع عام في 22 كانون الثاني 1919 وفيه جاءت نتيجة الاستفتاء غير متوقعة بالنسبة للسلطات البريطانية ، إذ تجاوز المسلمون من شيعة وسنة المسميات الطائفية وأعلنوا وحدتهم ، فجاءت مضبظتهم التي قدموها إلى الحاكم العسكري صادمة له ومغيبة لآمال البريطانيين وهذا نص المضبظة المقدمة (( ... نحن أبناء الأمة العربية المسلمة وممثلي المسلمين من الطائفتين الشيعية والسنية ، الساكنين في بغداد وضواحيها نعرب عن قرارنا بأن تكون البلاد الممتدة من شمال الموصل وحتى الخليج دولة عربية واحدة ، يرأسها ملك مسلم من أنجال شريفنا الحسين ، على أن يكون مقيداً بمجلس تشريعي محلي مقره بغداد ، عاصمة العراق))<sup>(44)</sup>.

أن قراءة مستفيضة ودقيقة لتلك المضبظة لتعطي وبشكل واضح الانطباع عن النضج السياسي والاجتماعي والوطني للشعب العراقي وخاصة المسلمون في إعلانهم وحدتهم متجاوزين كل المسميات والعناوين الفرعية والجلوس تحت خيمة الوطن الواحد.

رفض المسلمون ما سعت إليه السلطات البريطانية من وراء الاستفتاء وجاء طلبهم برفض الحكم البريطاني المباشر والمطالبة بوطنٍ موحد مستقل تحت حكم ملك عربي.

لقد جاءت وحدة المسلمين بسبب المشتركات التي تجمع بينهم فهي كثيرة وأساسية وأن المفرقات قليلة وثانوية وعلى اساس ذلك أعلن الشيعة والسنة وحدتهم ووحدة مطلبهم الوطني<sup>(45)</sup>.

(41) الجبوري ، عبد الجبار حسن ، (1977) الأحزاب والجمعيات السياسية في القطر العراقي 1908-1958، بغداد، دار الحرية ،ص45.

(42) نظمي ، وميض جمال عمر ، (1984) الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربي ة الاستقلالية) في العراق ، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية ص312.

(43) الحسني، عبد الرزاق ، المصدر السابق ،ص30.

(44) نقلاً عن نظمي، وميض جمال عمر ، المصدر السابق ،ص314.

(45) جميل ، حسين ، (1978)، بواكير الحركة الوطنية ، مجلة الثقافة الجديدة ، العدد (4) ص55.





أستمر المسلمون من كلا الطائفتين في التأكيد على وحدتهم في مناسبات عديدة وبطرق مختلفة، بل أبدعوا في إيجاد طرق جديدة وغير مألوفة في التعبير عن وحدتهم، فقد أيد وبارك رجال الدين تلك الخطوات أو الطرق، لا سيما في شهر رمضان الكريم المقدس لدى المسلمون، ومن مظاهر الوحدة تلك الاجتماعات الدينية التي تقام في مساجد الشيعة والسنة وخاصة ما عُرف بـ ((المولود والتعزية)) وهذا الأمر لم تشهد مثله بغداد من قبل بل حتى العراق<sup>(46)</sup>.

وتتلخص فكرة المولود والتعزية بإقامة احتفال ديني يجمع بين المولود النبوي على الطريقة السنية ومجلس التعزية الحسينية على الطريقة الشيعية، فكانت تلك الحركة المباركة جامعة للسنة والشيعة بصورة ودية ولم يحدث مثلها في القرون الإسلامية الماضية<sup>(47)</sup>. ذلك ما أبدع به المسلمون من الشيعة والسنة في إيجاد سُبُلًا جديدة تجمع كلمتهم وتوحد صفوفهم.

### 2.3 وحدة الأديان الأخرى

أكدت الحركة الوطنية العراقية على وحدة الشعب العراقي وباركت الخطوات التي وحدة المسلمين ودعت إلى انضمام الأديان الأخرى إلى الوحدة الوطنية، إذ دعت جمعية العهد إلى ذلك ((يا قوم أنتم عرب قبل الإسلام والنصرانية والموسوية والبلاد بلادكم والوطن وطنكم فأنتم المكلفون بالتظاهر على حماية الاستقلال الذي هو منحة السماء للأمم المنقذة ذات التاريخ المجيد))<sup>(48)</sup>.

ودعا أعضاء الحركة الوطنية العراقية المسلمون مثل جعفر أبو التمن وأحمد الداوود وعلى البازركان وغيرهم... دعوا إلى مشاركة الأخوة المسيحيين في عيدهم (عيد الجسد)، إذ وقف المسلمون في شوارع بغداد ينتظرون مرور موكب المسيحيين المحتفلين وعند وصولهم قام المسلمون بألقاء الورود عليهم وهم يهتفون ((فليعيش مواطنونا المسيحيون فيردون عليهم فليعيش مواطنونا المسلمون))<sup>(49)</sup>.

وهتف الشباب المسلم المحتشد لتحية المسيحيين المحتفلين ((عاش مجد سيدنا المسيح ... عاش إخواننا المسيحيون ... عاشت الوحدة العراقية ... عاشت الوحدة الوطنية)) فرد عليهم المسيحيون ((عاش إخواننا المحمديون... عاش العرب))<sup>(50)</sup>.

ليس ذلك فحسب بل قام وفد من المسلمين ضم جعفر أبو التمن وأحمد الداوود وآل بازركان وفريق من شباب السنة والشيعة المتنورين مشاركة المسيحيين البغداديين احتفالاتهم ودخلوا الكنيسة معهم وبقوا إلى نهاية الموكب ... وأضاف تقرير المخابرات البريطانية، الذي نقل تلك المعلومات إلى الحكومة البريطانية في لندن ((لقد جرى قدر كبير من

(46) الوردى، علي، المصدر السابق، ص173.

(47) الدجيلي، كاظم، (1973) أحداث ثورة العشرين، بغداد، ص17.

(48) جريدة صدى الأحرار، (العراق)، العدد(170) في 1954/8/22.

(49) جريدة صدى الأحرار، (العراق)، العدد (221) في 1953/9/4.

(50) نظمي، وميض جمال، المصدر السابق، ص364.



الحديث العاطفي حول هذا المشهد الذي لا سابق له، وقال الكثيرون أنه تم (بفضل) البريطانيين لأنهم كانوا السبب في هذا الاتحاد بدون أن يرغبوا فيه)<sup>(51)</sup>

وذكرت الوثيقة البريطانية أيضاً إن المسلمين نظموا احتفالية المولد في جامع الشيخ صندل برعاية السويدي، وكانت كلمات الخطب والقصائد حماسية وسياسية، وفيها دعا الملا عثمان إلى وحدة المسلمين والمسيحيين واليهود من أجل استقلال العراق<sup>(52)</sup>.

إن تلك التفاعلات الاجتماعية جاءت بعد أن وحد المسلمون صفوفهم وكلمتهم وبدعم من الحركة الوطنية العراقية، توجهوا إلى المسيحيين واليهود فأنت أكلمها، إذ توجه وفد من المسيحيين ضم المطارنة السريان والكلدان في بغداد مع القساوسة والوجهاء الكلدان الاتين والأرمن توجهوا إلى الكاظمية لتقديم التهاني إلى العلماء المسلمين – السيد محمد الصدر وغيره بمناسبة عيد الفطر وذلك في 18 حزيران 1920<sup>(53)</sup>.

كذلك تعامل رجال الحركة الوطنية مع اليهود في بغداد بالطريقة نفسها، إذ وجهت ووزعت منشور ورسائل إلى اليهود والمسيحيين أكدت على وحدة الشعب العراقي وأكدت على الأخوة بين جميع الطوائف العراقية وتدعوها باسم الوطن الواحد والمصير الواحد إلى الاتحاد مع المسلمين لتحقيق استقلال العراق، لاحظ المسلمون ان اليهود لم يخرجوا إلى الشوارع والحارات والمقابر احتفالاً بعيدهم (عيد الكبور) لذا ذهبت شخصيات وطنية بغدادية إليهم واستفسروا منهم عن سبب عدم إظهار احتفالهم خارج بيوتهم فقالوا لهم إن البريطانيين خوفهم من المسلمين إن ينتقموا منهم، فطمئنتهم المسلمون وخرجوا محتفلين وشاركهم المسلمون احتفالهم<sup>(54)</sup>.

(51) FO .371/5076. Mesopotamiapolice " Abstract of intelligence Repo rt no.23,5 jon 1920 pated june paragraph ,442.

نقلاً عن نظمي، وميض جمال عمر، المصدر السابق، ص364.

(52) المصدر نفسه.

(53) المصدر نفسه، ص365.

(54) البازركان، علي، المصدر السابق، ص104.



تلك الفعاليات الاجتماعية، التي قام بها رجال الحركة الوطنية المتنورين في بغداد ساهمت بشكل كبير في كسر الحواجز والقيود والتي فرضها المستعمر البريطاني في بغداد ما بين الطوائف والملل لتفريقهم خاصة وأنه تسعى إلى إيجاد شرائح اجتماعية وطوائف معينة مثل المسيحيين واليهود وقسم من المسلمين لتقف معه أو تطالب بأن يكون الحكم في العراق حكماً بريطانياً مباشراً مع استبعاد كل المسميات والأشخاص الذين طالب بهم الوطنيون. لكن الذي حدث أن جميع الطوائف العراقية وحدثت موقفها من استقلال العراق وطالبت به بعد أن كان قسم من تلك الطوائف المسيح واليهود قدموا مضابط إلى البريطانيين يرفضون به استقلال العراق وطالبوا أن يبقى البريطانيون يحكمون العراق مباشرة.

#### الخاتمة

تناول البحث فترة زمنية خطيرة من تاريخ العراق ، إلا وهي مدة الاحتلال البريطاني للعراق من 1917 لغاية 1920م ، اذعمل المستعمر البريطاني على تمزيق الوحدة المجتمعية البغدادية خاصة والعراقية عامة بأن أوجد شرخاً بين تلك الطوائف وخاصة اليهودية والمسيحية ، إذ أرعبهم من قيام دولة مستقلة في العراق لأنها ستكون إسلامية مجدية ، تعمل على اخلائهم وطردهم من العراق ، لذا جاءت مواقف الطائفتين اليهودية والمسيحية ، فضلاً عن قسم من المسلمين ضد استقلال العراق وتفضيلهم البقاء تحت الحكم البريطاني المباشر ، إلا ان القوى الوطنية العراقية في بغداد عملت وبإخلاص على وحدة المجتمع البغدادي فبدأت بوحدة المسلمين بين المذاهب السني والشيعة فوحدت موقفهما من نوع الحكم في العراق بأن يكون عربياً وفضلوا ان يكون احد انجال الشريف حسين ملكا على العراق ، كذلك عملوا على تغيير الموقف السلبي لليهود والمسيحيين من الاستقلال واتحدوا مع المسلمين في موقفهم الوطني . وتأسيساً على ماتقدم من الممكن استنتاج النقاط الآتية:

- 1- أن المجتمع العراقي مجتمعاً تعايش لألاف السنين سلمياً على مختلف طوائفه وأديانه ومذاهبه.
- 2- نعم أوجدت السياسة البريطانية - فرق تسد - صداها في أول الأمر وكسبت مجموعات لا باس بها بالوقوف إلى جانب التوجهات والمصالح البريطانية.
- 3- عمل البريطانيون في العراق على ربط مستقبل المسيحيين واليهود مع بقائهم في العراق وذلك باستخدام أسلوب الترغيب والترهيب ، ترغيبهم بسلامتهم وعيشهم الرغيد معهم وترهيبهم من استقلال العراق واقامة دولة إسلامية مجدية تسعى مباشرة.. إلى طردهم واخراجهم من العراق.
- 4- نجحت السياسة البريطانية في تحقيق اهدافها في بادئ الأمر بشق وحدة المجتمع البغدادي وتشتيت اهدافه وطموحاته في اتجاهات مختلفة.



- 5- لاحظ رجال الحركة الوطنية ذلك فعملوا أولاً إلى توحيد كلمة المسلمين الشيعة والسنة وقاموا باستخدام طرق مبتكرة للجمع بينها، فأقاموا احتفالية – المولد التعزية – وذلك بجمع المولد النبوي الشريف الذي يقيمه أهل السنة مع التعزية باستشهاد سيد شباب أهل الجنة الحسين بن علي عليه السلام، الذي يقيمه الشيعة، فضلاً عن تشجيع واقامة الزيارات والتواصل مع المستجدات الاجتماعية بحضور مجالس الفاتحة بين الطرفين.
- 6- توجه المسلمون في بغداد إلى إخوانهم المسيحيين واليهود وطمئنوهم بأنهم لا يضمرون إلا الخير لهم وأنهم اخوان وشركاء في الوطن، وشاركوهم احتفالاتهم وقدموا لهم التهاني بمناسبة اعيادهم فرد اليهود والمسيح بزيارة المسلمين في اعيادهم.
- 7- بعد تلك المواقف من المسلمين في بغداد والعراق عامة من جميع الطوائف غير الكثير منهم مواقفهم وطلبوا جميعهم تقريباً باستقلال العراق.
- 8- استطاعت الحركة الوطنية البغدادية من اعادة اللحمة المجتمعية البغدادية والعراقية بعد أن سعى المستعمر البريطاني إلى تمزيقها وتفريق كلمتهم ومواقفهم، فوحد الجميع كلمتهم ومواقفهم.
- 9- إن العراقيين متوحدين تاريخياً ولا يحدث الخلاف والشقاق بينهم إلا بوجود المستعمر أو العنصر الخارجي.
- 10- لكن مع كل محاولات المستعمرين وعلى مر العصور على غرس بذور التفرقة وشق الصف وتمزيق الوحدة المجتمعية البغدادية العراقية، أقول ومع كل المحاولات توأن تمت في أول الأمر، إلا أن المجتمع البغدادى يعيد ويجدد وحدته لأسباب منها إن المشتركات التي تجمع بينهم كثيرة وأساسية ومفروضة عليهم منذ آلاف السنين، هذا فضلاً عن إن العراقي عامة والبغدادى خاصة جُبل على الطيبة والمحبة والغيرة والشرف وعزة النفس والأنفة والرجولة والكبرياء والعيش بحياة هو سيدها لا يسوده أجني، وذلك ناتج من التراكمات الحضارية التي أنتجت أرض الرافدين والقوة والمنعة التي تمتع بها وقيادته وسيطرته على المناطق المجاورة والإشعارات التي سحقت الغزاة، كل ذلك جعل من العراقي والبغدادى أبي النفس كريم العطاء لا يرضى بالذل أبداً.

#### اقتراحات ذات صلة بموضوع البحث:

- التركيز على المشتركات التي تسهم في توحيد المجتمع في الوقت نفسه العمل على نبذ المفترقات التي تسهم في تمزيق الوحدة المجتمعية.
- ان تتبنى الجامعات مشاريع توعوية تخدم الوحدة الوطنية بعيدا عن الواجهات الساسية مثل الاحزاب والجمعيات.
- ان يصار في المرحلة الاولى من الجامعة تدريس مادة (مشتركات التعايش السلمي في المجتمع).